@ 599 @ شركا ، ^ (ومن يشرك با فقد حرم ا عليه الجنة ومأواه النار) ^ ، والنهي عن الشيء ، أمر بضده ، فالنهي عن الشرك ، أمر بإخلاص العبادة وحده لا شريك له ، محبة ، وخوفا ، ورجاء ، وذلا ، وإنابة إليه في جيمع الأوقات . ولما أمره بما فيه كمال نفسه ، أمره بتكميل غيره فقال : ! 2 2 ! الذين هم أقرب الناس إليك ، وأحقهم بإحسانك الديني والدنيوي ، وهذا لا ينافي أمره بإنذار جميع الناس . كما إذا أمر الإنسان بعموم الإحسان ، ثم قيل له (أحسن إلى قرابتك) ، فيكون هذا الخصوص ، دالا على التأكيد ، وزيادة الحث . فامتثل صلى ا عليه وسلم ، هذا الأمر الإلهي ، فدعا سائر بطون قريش ، فعمم وخصص ، وذكرهم ووعظهم ، ولم يبق صلى ا عليه وسلم ، من مقدوره شيئا . من نصحهم ، وهدايتهم ، إلا فعله ، فاهتدى من اهتدى ، وأعرض من أعرض . ! 2 2 ! بلين جانبك ، ولطف خطابك لهم ، وتوددك ، وتحببك إليهم ، وحسن خلقك والإحسان التام بهم . وقد فعل صلى ا عليه وسلم ، ذلك كما قال تعالى : ! 2 2 ! ، فهذه أخلاقه صلى ا عليه وسلم ، أكمل الأخلاق ، التي يحصل به من المصالح العظيمة ، ودفع المضار ، ما هو مشاهد . فهل يليق بمؤمن با ورسوله ، ويدعي اتباعه والاقتداء به ، أن يكون كلا على المسلمين ، شرس الأخلاق ، شديد الشكيمة ، غليظ القلب ، فظ القول ، فظيعه ؟ . وإن رأى منهم معصية ، أو سوء أدب ، هجرهم ، ومقتهم ، وأبغضهم ، لا لين عنده ، ولا أدب لديه ، ولا توفيق . قد حصل من هذه المعاملة ، من المفاسد ، وتعطيل المصالح ، ما حصل ، ومع ذلك تجده محتقرا ، لمن اتصف بصفات الرسول الكريم ، وقد رماه بالنفاق والمداهنة ، وذكر نفسه ورفعها ، وأعجب بعمله . فهل يعد هذا ، إلا من جهله ، وتزيين الشيطان ، وخدعه له ، ولهذا قال ا لرسوله : ! 2 2 ! في أمر من الأمور ، فلا تتبرأ منهم ، ولا تترك معاملتهم ، بخفض الجناح ، ولين الجانب ، بل تبرأ من عملهم ، فعظهم عليه ، وانصحهم ، وابذل قدرتك في ردهم عنه ، وتوبتهم منه . وهذا الدفع ، احتراز وهم من يتوهم ، أن قوله : ! 2 2 ! للمؤمنين ، يقتضي الرضاء بجميع ما يصدر منهم ، ما داموا مؤمنين ، فدفع هذا ، وا أعلم . ! 2 2 ! أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به ، الاعتماد على ربه ، والاستعانة بمولاه ، على توفيقه للقيام بالمأمور ، فلذلك أمر ا تعالى بالتوكل عليه فقال : ! 2 2 ! والتوكل هو : اعتماد القلب على ا تعالى ، في جلب المنافع ، ودفع المضار ، مع ثقته به ، وحسن ظنه بحصول مطلوبه ، فإنه عزيز رحيم ، بعزته يقدر على إيصال الخير ، ودفع الشر عن عبده ، وبرحمته به ، يفعل ذلك . ثم نبهه على الاستعانة ، باستحضار قرب ا ، والنزول في منزل الإحسان فقال : ! 2 2 ! أي : يراك

في هذه العبادة العظيمة ، التي هي الصلاة ، وقت قيامك ، وتقلبك راكعا وساجدا . خصها بالذكر ، لفضلها وشرفها ، ولأن من استحضر فيها قرب ربه ، خشع وذل ، وأكملها ، وبتكميلها ، يكمل سائر عمله ، ويستعين بها على جميع أموره . ! 2 2 ! لسائر الأصوات ، على اختلافها ، وتشتتها ، تنوعها ، ! 2 2 ! الذي أحاط بالظواهر والبواطن ، والغيب والشهادة . فاستحضار العبد برؤية ا له في جميع أحواله ، وسمعه لكل ما ينطق به ، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه ، من الهم ، والعزم ، والنيات ، يعينه على منزلة الإحسان . ! 2 2 ! هذا جواب لمن قال من مكذبي الرسول : إن محمدا ينزل عليه شيطان . وقول من قال : إنه شاعر فقال : 2 ! 2 ! أي : أخبركم الخبر الحقيقي ، الذي لا شك فيه ، ولا شبهة ، عن من تنزل الشياطين عليه ، أي : بصفة الأشخاص ، الذين تنزل عليهم الشياطين . ! 2 2 ! أي : كذاب ، كثير القول للزور ، والإفك بالباطل ، ! 2 2 ! في فعله ، كثير المعاصي ، هذا الذي تنزل عليه الشياطين ، وتناسب حاله حالهم ؟ . ! 2 2 ! عليه ! 2 2 ! الذي يسترقونه من السماء ، ! 2 2 ! أي : أكثر ما يلقون إليه ، كذب ، فيصدق واحدة ، ويكذب معها مائة ، فيختلط الحق بالباطل ، ويضمحل الحق بسبب قلته ، وعدم علمه . فهذه صفة الأشخاص ، الذين تنزل عليهم الشياطين ، وهذه صفة وحيهم له . وأما محمد صلى ا عليه وسلم ، فحاله مباينة لهذه الأحوال ، أعظم مباينة ، لأنه الصادق الأمين ، البار ، الراشد ، الذي جمع بين بر القلب ، وصدق اللهجة ، ونزاهة الأفعال ،